

برديغما العلاقات الدولية المعاصرة:

المركزية الغربية نموذجا

Paradigms of the International Contemporary Relations : West Centrism as a Model

أ. بلخيرة محمد

أستاذ مساعد بكلية الحقوق والعلوم السياسية-جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف
mbelkhira@yahoo.fr

ملخص

يعد برديغم (paradigm) المركزية الغربية الذي يندرج ضمن أهم البراديغمات السائدة في العلاقات الدولية المعاصرة أحد البدائل النظرية المطروحة لتفسير الوضع القائم ما بعد الحرب الباردة و المبني على الصراع الحتمي بين المركز، من جهة، و الأطراف و أشباه الأطراف، من جهة أخرى، من خلال إحلال ثنائية (شمال/جنوب) وفقا للتقسيم الأفقي للعالم محل ثنائية (شرق/غرب) السائدة في ظل الثنائية القطبية. و يكمن الهدف الأساسي من هذا البرديغم المجسد لمجموعة من الصفات و الخصائص العرقية، الروحية و الحضارية تشكل الدعائم الأساسية للهوية الغربية والذي ترسخ مع مرور الزمن داخل العقل الغربي وفرض نفسه -بشكل غير مسبوق- في الحقل التنظيري للعلاقات الدولية مع نهاية الألفية الثانية و بداية الألفية الثالثة، إلى التأسيس لوجهة نظر غربية من خلال إعادة إنتاج كل ما له صلة بالماضي باعتبارها جذورا غربية صرفة، سعيا إلى الاستئثار بكل الإشعاعات الحضارية القديمة، واضعا قطيعة بينها و بين محاضن نشأتها، مقصيا بذلك كل ما ليس له علاقة بالغرب، دافعا به خارج «مجال التغطية» الذي أضحى الغرب مركزه الرئيسي؛ لكونه المنتج الواحد و الوحيد للقيم الإنسانية و الطرف الأوحاد القادر على وضع وتقنين معايير التقدم و التخلف و في حسم انتقال مجتمع ما من وضعية البربري الهمجي إلى المدنية و الرقي.

تمثل الولايات المتحدة الأمريكية ومن ورائها الغرب في ظل النظام الدولي الجديد المركز الرئيسي المؤثر في العلاقات الدولية و القطب الأوحاد المهيمن على حركة التفاعل الدولي. أما بقية الدول الأخرى (أطراف الأطراف) فهي مجرد «توابع» يتعين عليها التكيف أو بالأحرى الانصياع للأمر الواقع، وإلا سيكلفها عنادها غالبا وستظل قابضة في «قاع التاريخ» -على حد تعبير فرانسيس فوكاياما (Francis Fukuyama)- الذي يعد إلى جانب صامويل هانتينغتون (Samuel Huntington) من أبرز رواد برديغم المركزية الغربية (نحن و الآخرون) الذي يبدو أنه سيظل -على الأقل مع مطلع القرن الحالي- أحد الأطر النظرية الأساسية الموجهة و المؤثرة في السياسات الخارجية الغربية عموما و الأمريكية تحديدا.

الكلمات الدالة: البرديغم، المركزية الغربية، العلاقات الدولية، السياسية الخارجية.

Abstract

The West Centrism Paradigm is one of the important reigning paradigms in today's international relations. It is seen to be a possible keyword to explain the situation of the post cold war era. This situation is influenced by conflicts between the Centre on one hand and other parts or sub-parts on the other, aiming to establish a new dichotomy that divides the world into (North/South) instead of what was known as Eastern /Western globes .

The hopeful aim of this paradigm which forms a set of racial, spiritual, civil, and specific features is to find and set new pillars to western identity. By the time such new features have to be part of the western thought. They will be considered the essence of international relations theories by the end of the second millennium and the beginning of the third one, leading to the establishment of a new western philosophy that will focus on reproducing all what was considered valueless by the ancient civilizations in the past. The new trend tends to eliminate and decrease all what is not western since the West is being the only source of human values, modernism, culture and civism.

The USA and the western world as a whole represent the central core of the new international system, which holds globalization as an emblem. It has a deep and a great role in issuing infinite international decisions around the globe. The rest of the world's countries are passive. They have to adapt and adopt policies that go along with the new system. Otherwise, they will be objects of historical isolation and ignorance as Francis Fukuyama stated. This latter, who is considered with Samuel Huntington as one of the bright theorists of the western central paradigm (We and the others), which seems to be, at least till the end of the century, one the main frames that will govern the international western policies in general, and the American one in particular.

Key words : *Paradigm, Western Central, International relations, Foreign policy.*

مقدمة

بأنحطاط قوتها العظمى و انهيارها الحتمي⁽¹⁾، بلقائها نفس المصير الذي آل إليه غريمها الاتحاد السوفياتي (سابقاً).

في هذا الصدد قال "جريجوري فوستر" أحد الأكاديميين الاستراتيجيين الأمريكيين، في مقالة لافتة نشرتها مجلة "ذي واشنطن كوارترلي" (The Washington Quarterly) شتاء 1990، بأن الأبحاث الإستراتيجية الأمريكية محدودة المنهج وتعاني من القصور النظري، وهي تاليا عاجزة عن إدارة الأزمات وتسيير المرحلة الانتقالية، أي عدم قدرتها على تقديم الحلول للمشاكل المستعصية المطروحة، داعياً إلى ضرورة إبداع نظرية جديدة للإستراتيجية الأمريكية قائمة على المفاهيم الفلسفية⁽²⁾.

لقد كان لزاماً على الغرب الذي حقق انتصاراً تاريخياً و على رأسه الولايات المتحدة التي تسعى إلى توظيف فرصة تهوي نظام الشائنة القطبية من أجل التربع على العرش العالمي تجاوز أزمة المنظومة الفكرية الغربية، من خلال البحث عن البديل النظري أو "الأيديولوجي" لتسوية وتبرير سياساتها اللاحقة، وهذا ما يفسر شغف مفكرها ببرادغم "ما بعد (Poste) الإنسانية، ما بعد الحداثة، ما بعد الرأسمالية..."⁽³⁾، الأمر الذي دفع إلى بروز إرهافات فكرية ونظرية جديدة، تفكرنا بتلك التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، وتسعى إلى

ترك مسلسل الأحداث المشهدة التي عرفها العالم مع نهاية الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة (التهوي المفاجئ للاتحاد السوفياتي السابق، أحداث سبتمبر 2001، الغزو الأمريكي لأفغانستان والعراق ...) بصمات واضحة على مستوى الحقل النظري للعلاقات الدولية الذي شهد حالة من الاضطراب و الفوضى؛ بفعل تآكل الأطر المفاهيمية والنظرية، أو بالأحرى الأسس/القوالب الفكرية التي ظلت على امتداد عقود من الزمن تتحكم في تحليل وتوجيه حركة التفاعل الدولي على غرار العديد من البرديغمات (الواقعي، التعددي، الراديكالي...)، بيد أنها لم تعد في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية الجديدة قادرة على استيعاب وتأطير واقع الوضع الدولي الراهن الذي يكتنفه الكثير من الغموض والتعقيد. و أدى هذا الوضع الاستثنائي إلى بروز شبه فراغ فكري استراتيجي، أو بالأحرى حالة من الحذر و "اللايقين النظري"، الأمر الذي أثار خوف وقلق بعض الأوساط الأمريكية بشأن مستقبل بلادهم كقوة عظمى مهيمنة، لاسيما في ظل سياق مشحون بالتشاؤمية الثقافية -على حد تعبير "آرثر هيرمان" - و رواج دراسات تؤكد على توري المكانة العالمية للولايات المتحدة الأمريكية، و تتنبأ

فترة زمنية من الصراع بين البرديغيات المتعارضة⁽⁵⁾.

لذلك، فإن البرديغم هو أشمل من النظرية، المنهج والاقتراب/ المدخل⁽⁶⁾ من حيث المدلول، فهو يشير إلى مجموع القطاعات التي تشكل القاسم المشترك لأعضاء مجموعة علمية في مجال معين وحقبة زمنية معينة. وتتمثل هذه القطاعات والمعتقدات في النظريات والمناهج السائدة والنظرة إلى الكون (الواقع)، والتي عادة ما تكون لها جذور ميتافيزيقية أو أيديولوجية أو سياسية، حيث أن البرديغم هو الذي يقود ويوجه أعضاء المجموعة العلمية في دراساتها وأبحاثها بتزويدها بوسائل الانتقاء والتقييم والنقد.

أهم البرديغيات السائدة في العلاقات الدولية المعاصرة.

الرقم	البرديغم	طبيعة العلاقات الدولية	رمز العلاقات الدولية	وحدة التحليل	المحرك	الموضوع	الهدف
01 -	الواقعي	تضارب في المصالح	كرات البليارد	الدولة	القوة	السياسة الدولية أو النظام الدولي	تفسير سلوك الوحدات الدولية
02 -	التعددي	انسجام في المصالح	بيت العنكبوت		الأخلاق	المجتمع الدولي	تفسير شامل للعلاقات الدولية
03 -	الراديكالي	الهيمنة/السيطرة	الأخطبوط	الطبقة	الاقتصاد	النظام الاجتماعي العالمي	تفسير استغلال أمة لأمة أخرى
04 -	المركزية الغربية	حقد وغيره	كتل عائمة متنافرة	الحضارة	الثقافة	الحضارة العالمية	مستقبل العلاقات الدولية

2- إشكالية التبلور: إن التعرف على الهوية أو تحديد "الأنا"

لا يتم -وفقاً للباحث محمد عابد الجابري- إلا عبر "الآخر"⁽⁷⁾ الذي يشكل ذاتاً مقابلة لها وتدخل معها كونها منافسة لها في صراع حول البقاء. فالآخر هو بمثابة المرأة العاكسة "لأنا" والتي لولاها ما كان يمكن تشخيص أو رؤية الذات، حيث أن إثبات كينونة "نحن" تتجسد على حساب الآخرين. وتعتبر ثنائية "الأنا والآخر" كطبيعة من طباع البشر ظاهرة قديمة: في عهد اليونان والرومان كان المواطن يتعرف على هويته من خلال كينونته داخليا والبرابرة خارجيا، وفي القرون الوسطى كان الأوروبي يتعرف على ذاته عبر المسلم/ العربي الآخر، وفي العصر الحديث، حيث تسود العولمة وتكنولوجيا الاتصال ترسخت ثنائية (شرق/غرب) داخل العقل الغربي لدرجت دفعت بمفكر إنجليزي إلى القول⁽⁸⁾ "الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا"⁽⁸⁾، حيث تقدم الأنا الغربي في ظل الحرب الباردة -وفقاً للتقسيم العمودي للعالم (شرق/غرب)- باعتباره صانعا للتاريخ وحاملا لرايته على حساب الآخر الشرقي/الشيوعي، قبل أن تبرح مكانها لثنائية (شمال/جنوب) الجديدة قيد التشكل.

تشير المؤرخة الفرنسية صوفي بسيس (Bessis Sophie) في كتابها "الغرب والآخرين: قصة تفوق" في طبعته الأولى الصادرة عام 2001 إلى أن قصة هيمنة الغرب على العالم

تفسير المعطيات الجديدة والدلو بدلوها في قراءة الآتي بعد الحال (المستقبل)، محاولة التأسيس لنظام دولي جديد آيل إلى التشكل.

لعل أبرز السيناريوهات الغربية-الأمريكية المطروحة لتفسير الوضع القائم ما بعد الحرب الباردة والمبني على الصراع الحتمي بين المركز، من جهة، والأطراف أو أشباه الأطراف، من جهة أخرى، نجد برديغم المركزية الغربية (نحن والآخرين) الذي أضحى يتبوأ مكانة أساسية ضمن أهم البرديغيات السائدة في العلاقات الدولية المعاصرة (أنظر الجدول)، والذي يبدو أنه سيمتلك بصماته على حركة التفاعل الدولي مع مطلع القرن

الحادي والعشرين، الأمر الذي يدفعنا إلى طرح الإشكالية التالية: ما هي خلفيات وتداعيات البرديغم على السلوك الخارجي الغربي-الأمريكي؟، على أن تتم الإجابة على هذه الإشكالية من خلال معالجة المحاور التالية:

1- **تعريف المفهوم:** البرديغم (Paradigm) هو "مجموعة متنافسة منسجمة من المعتقدات والقيم والنظريات والقوانين والأدوات والتكتيكات والتطبيقات، يشترك فيها أعضاء مجتمع علمي معين، وتمثل تقليداً بحثياً كبيراً، أو طريقة في التفكير والممارسة، ومرشداً أو دليلاً يقود الباحثين في حقل معرفي ما"⁽⁴⁾. ويهدف البرديغم الذي يعتبر "توماس كوهن" (Thomas Kuhn) أول من أستعمله في أوائل ستينات القرن العشرين، ويجري تداوله بكثرة منذ أواسط السبعينات في الأوساط الأكاديمية العلمية الغربية، ولاسيما الأنجلوسكسونية، إلى إدخال بعض التنظيم في الحقل النظري للعلاقات الدولية. فالبرديغم لا ينظر إليه كمجرد لفظ لغوي، بل هو مصطلح علمي يندرج ضمن سياق المعرفة العلمية ويشكل الإطار الذي يجري فيه تفسير كيفية تطور المعرفة العلمية، من خلال ثورات متتالية وليس عبر خطية تصاعدية. ويقصد بالثورة هنا الثورة العلمية التي تحدث عادة عندما يحل نموذج معرفي جديد محل نموذج معرفي قديم مناوئ له كلياً أو جزئياً، عقب

ضمن نفس السياق، يؤكد باري بوزان (Barry Buzan) كاتب صحفي مرموق وأستاذ بجامعة وورويك البريطانية في مقال نشر على صفحات مجلة شؤون دولية أمريكية في عددها الصادر بتاريخ 03/07/1991 تحت عنوان السياسة الواقعية في العالم الجديد: أنماط جديدة للأمن العالمي في القرن الحادي والعشرين، محاولاً من خلاله رسم صورة عن التطورات المحتملة-المنتظرة أو التي بدأت بالفعل على المستوى الدولي، عقب انهيار المنظومة الاشتراكية، مشيراً إلى أن التصنيف الثلاثي للعالم (العوالم الثلاث) قد فقد مبررات استمراره؛ بفعل أفول العالم الثاني (الكتلة الاشتراكية) مقابل العالم الأول (الكتلة الرأسمالية)، وأن ليس ثمة ما يبرر وضع كافة دول العالم الثالث في «سلّة» واحدة، مقترحاً تصنيف حديث لفهم الوضع الدولي الجديد⁽¹³⁾. ويكمن جوهر التصنيف الجديد -حسب باري بوزان- في تقسيم العالم إلى «مركز» و «أطراف»: يضم الأول كتلة رئيسية من الاقتصاديات الرأسمالية المهيمنة على العالم، والثاني يشمل مجموعة من الدول الرخوة اقتصادياً وسياسياً التي تتحرك ضمن نمط من العلاقات المشكلة أساساً من طرف المركز، ناهيك عن «أشباه الأطراف» وهي حلقة الدول الأقوى في الأطراف. ولأن مسألة الأمن العالمي في القرن الواحد والعشرين أو بالأحرى أمن المركز تحديداً هي التي شغلت انتباه الباحث، فإن ذلك يتطلب تحديد أطراف اللعبة الرئيسيين وهي المركز ممثلاً في الغرب والأطراف ممثلة في دول الجنوب⁽¹⁴⁾، التي أصبحت تشكل مصدر خطر حقيقي على الشمال، الأمر الذي ساعد على تعزيز برديغم المركزية الغربية.

3- الأسس والمنطلقات: من الصعب فهم و استيعاب برديغم المركزية الغربية (نحن والآخرين) دون الإحاطة بأهم ركائز نزعة التمركز/التمحور حول الذات، والمتمثلة:

أ- **التمركز العرقي:** اقترنت ميلاد الغرب المعاصر بظاهرة التأسيس العرقي القائلة بوجود طبائع و خصوصيات عرقية تقبع وراء الحضارة الغربية الحديثة، حيث لعبت نظرية الطبائع العرقية دوراً فاعلاً في إعادة تشكيل تاريخ الغرب، باعتباره ثمرة مؤهلات بشرية ذات خصوصيات عرقية متميزة. قال هاردر بشأن الجنس الأوروبي (...فإن أطيّب جنس بشري إنما ظهر فيها يقصد أوروبا)⁽¹⁵⁾، وقال مونتيكيو بأن الجنس الشمالي هو حامل راية الحضارة والتقدم، و«بالتالي من الطبيعي أن يكون العبيد من الجنوب و الأسياد من الشمال»⁽¹⁶⁾. إن التأكيد على دور الخصوصيات العرقية في بناء الصرح الحضاري الغربي الحديث معناه أن ثمة فئة بشرية محكومة بطبائع عرقية ثابتة، أبدية وسامية هي التي أنتجت ذلك الصرح الحضاري⁽¹⁷⁾، وأن لا دور لبقية الأجناس على امتداد الأزمنة في ذلك. وقد سبق لهيجل أن ميز بين الطبائع العرقية بناء على المعيار الجغرافي، واطعاً الأمريكيين و الأستراليين في مستوى أعلى، واحتل الأعراق مستوى أدنى، حينما اعتبر سكان الصحراء العربية و الصحراء

تعود إلى سنة 1492 التي تمثل السنة التأسيسية/الميلادية للغرب؛ لكونها تشكل منعرجاً حاسماً في تاريخه، حيث تم فيها اكتشاف أمريكا (امتلاك العالم الجديد) و طرد المسلمين من إسبانيا (ضربة موجعة للإسلام)، موضحة بأن الغرب قد تشكل تدريجياً عبر قرون من الزمن، لكنه لم يتبلور بالشكل الذي آل إليه آنياً إلا منذ القرن السادس عشر⁽⁹⁾. أما الدكتور عبد الله إبراهيم فيرى بأن أصل المركزية الغربية يرجع إلى لحظة ميلاد مفهومين متلازمين، ألا وهما (أوربا) و (الغرب) اللذين تمخضا عن قصة تاريخية طويلة لعب فيها العصر الوسيط دوراً في تطوير جملة من العناصر ذات الطابع الاجتماعي، الديني، السياسي و الثقافي التي تفاعلت مع بعضها البعض لتشكل هوية أوربا، قبل أن يظهر مفهوم الغرب بأبعاده الدلالية الأولية المتمثلة في تجسيد مجموعة من الصفات و الخصائص العرقية، الروحية و الحضارية تشكل الدعائم الأساسية للهوية الغربية، و الذي أدى بدوره إلى ولادة براديغم (paradigm) المركزية الغربية.

يكمن الهدف من هذا البرديغم -وفقاً لذات الباحث- في التأسيس لوجهة نظر غربية من خلال إعادة إنتاج كل ما له صلة بالماضي باعتبارها جذوراً غربية صرفة، سعياً إلى الاستئثار بكل الإشعاعات الحضارية القديمة، واطعاً قطيعة بينها و بين محاضن نشأتها، مقصياً بذلك كل ما ليس له علاقة بالغرب⁽¹⁰⁾، دافعاً به خارج «مجال التغطية» الذي أضحى الغرب مركزه الرئيسي. وقد ساهم بروز الدولة القومية الحديثة بموازاة مع اكتشاف العالم الجديد (أمريكا) في تدشين و تثبيت المركزية الغربية التي كانت و لا زالت بصماتها ماثلة إلى يومنا هذا، بل أشد عودها و عادت إلى الواجهة وبشكل غير مسبوق بعد انتهاء الحرب الباردة.

كان العالم منذ العقد الثاني و إلى غاية العقد الأخير من القرن العشرين مقسماً جغرافياً -وفقاً للمعيار الإيديولوجي- إلى قسمين: الشرق ممثلاً في المنظومة الاشتراكية بزعامة الاتحاد السوفياتي و الغرب ممثلاً في المنظومة الرأسمالية بقيادة أمريكا، حيث كان كل قطب يتعرف على نفسه من خلال نقيضه، إلا أن السقوط المفاجئ للقطب الشرقي أدى إلى إحلال الشرق (Orient) الحضاري، محل الشرق (East) «الجغرافي» المنهار مقابل حلول الغرب (Occident) الحضاري محل الغرب (West) «الجغرافي»، أي حلول التقابل الحضاري القائم على نفس المنهج الاقتصادي. فتهاوى السوفيات أدى إلى بروز ازدواجية (شمال-جنوب)⁽¹¹⁾ لتحل محل ازدواجية (شرق-غرب) في ظل استحالة توظيف «الآخر» (الشرق المنهار) في التعرف على «الأنا» (الغرب المنتصر)، حيث أضحى العقل الأوروبي منذ التسعينيات يستخدم الجهات الجغرافية المقابلة (شرق/جنوب...) لتحديد ذاته، مستعينا بالألوان، منتقلاً من «الخطر الأحمر» (الشيوعية) إلى «الخطر الأخضر» (الإسلام) و «الخطر الأصفر» (الصين) بدرجة أقل⁽¹²⁾.

الثقافات تفاوتاً معيارياً بين «الأنا» الغربي المتحضر و «الآخر» الهمجي/المتوحش، وهي النزعة التي ظلت سائدة على امتداد الحقب التاريخية لأوروبا، و جرى من خلالها التأكيد على الفوارق بناء على مقاييس معيارية عرقية، دينية، تقنية...، حيث نصب «الأنا» الغربي نفسه متفوقاً على «الآخر» (غير الغربي)، مؤسساً بذلك لذات غربية جديدة في مواجهة ذاتات الآخرين وفي مقدمتها الإسلام؛ كونها منافسة⁽²³⁾ أو بالأحرى معادية، حيث تشير دراسة حديثة نشرتها مجلة ديل شبيجل الألمانية تحت إشراف البروفيسور ديتليف بولاك إلى أن 80 % من الألمان يملكون صورة مشوهة عن الإسلام، وأن خمسي الذين شملهم الاستطلاع يشعرون أن الثقافات الأجنبية تشكل تهديداً وخطراً على بلادهم⁽²⁴⁾، مما يستوجب مقاومتها و التعاطي معها بحذر شديد.

4 - الجوهر والتجليات : ينظر إلى المركزية الغربية (نحن و الآخرون) التي ظلت و لازالت تتحكم في مسار تطور العلاقة بين الذات الغربية و الآخر غير الغربي (الثقافات و الشعوب الخارجة عن دائرة الغرب) على أنها تعني ببساطة أن الغرب هو مركز العالم؛ لكونه المنتج الواحد و الوحيد للقيم الإنسانية و الطرف الأوضح القادر على وضع وتقنين معايير التقدم و التخلف و في حسم انتقال مجتمع ما من وضعية البربري الهمجي إلى المدنية، الازدهار و الرقي⁽²⁵⁾. فالحركة الاستعمارية الأوروبية التي استهدفت قارات إفريقيا، آسيا و أمريكا اللاتينية تندرج ضمن إطار نقل حضارة أوروبا المتقدمة إلى خارج أوروبا المتوحش، أي نقل المجتمعات الواقعة خارج أوروبا من حالة «التوحش» إلى حالة التمدن/التحضر.

في هذا الصدد، قال أحمد مهساس أحد مهندسي الثورة الجزائرية⁽²⁶⁾ «الفرنسيون متشبعون بالفكر الاستعماري و يعتقدون أنهم أصحاب مهمة حضارية»⁽²⁶⁾. لذلك، و في الوقت الذي يجري في الجزائر الحديث عن «تجريم» الاستعمار و مطالبة فرنسا بتقديم الاعتذار كشرط لتحسين العلاقات بين الطرفين، تسعى بعض الأوساط السياسية و الإعلامية الفرنسية إلى الترويج لفكرة «تمجيد» الاستعمار باعتباره مهمة حضارية.

يشير المؤرخ البريطاني آرنولد توينبي في كتابه «المذاهب الكبرى في التاريخ» إلى أن كافة الأعراق البشرية مؤهلة للحضارة، و أن التباين الحضاري ليس مرده الاختلاف الجنسي أو العرقي، بل يعود إلى جملة من العوامل المتنوعة و المتميزة تبعا للظروف و المعطيات السائدة زمكانياً. و من البديهي أن تدعي كل حضارة من الحضارات الإنسانية عبر التاريخ -وإن بدرجات متفاوتة و تبعا لظروفها و نمط تفكيرها (مدى دنو الفكر البشري من نمط التفكير العالمي)- أنها «مركز الكون» أو بالأحرى المركز الإشعاعي للعالم. بيد أن التمرکز والأكثر جلباً للانتباه و ذو الأبعاد الخطيرة الذي رفع من شأنه وألصق بالآخر أبشع الصفات⁽²⁷⁾، من أجل إبقاء الأخير في الدرك الأسفل -على حد تعبير الباحث عمر كوش- مصدره الحضارة الغربية التي

الكبرى مجرد رعاة يتميزون بالسلب و النهب، خاصة عندما ما يكونون محاذين للأمم متحضرة⁽¹⁸⁾، وهي نظرة دونية مماثلة للصورة المشوهة للعربي المسلم في وسائل الإعلام الغربية حالياً.

لقد تمخض عن التمرکز العرقي الذي أنتج الحضارة الغربية منظومة قيم حملت على عاتقها مسؤولية تدمير الأنساق الثقافية لباقي الشعوب و الحضارات التي تشكل مجرد فعل غير تاريخي، الأمر الذي أدى إلى تصنيفات عرقية دونية يترتب الجنس الغربي على عرش قمته، مما يسمح للأخير المحتكر للتاريخ بالسعي إلى فرض وصايته على الآخرين الذين مازالوا يبحثون عن مكان لهم في التاريخ⁽¹⁹⁾.

ب - التمرکز الديني: ينطلق هيجل الذي يعد أكثر الفلاسفة الغربيين تناولاً للبعد الديني -من خلال تحليله الميتافيزيقي- من فرضية مؤداها أن الديانة المسيحية هي أفضل الديانات السماوية، فهي الديانة «المطلقة بامتياز»؛ لكونها العقيدة الوحيدة القادرة على احتضان الديانات السابقة، حيث انصهرت فيها كل أشكال التعبير الديني، فأضحى محتواها كامناً في «الحق المطلق». فالهيجلية وضعت المسيحية في قمة سلم ترتيب الديانات السماوية؛ لكونها -وفقاً لاعتقاد المفكر الفرنسي شاتوبريان- ذات صلة وثيقة بالحضارة، أما الإسلام فهو عدو الحضارة، ذلك أن الحروب الصليبية -حسبه- لم تكتس بعداً دينياً بل حضارياً⁽²⁰⁾. لقد ساهمت المسيحية وبصرف النظر عن المبررات الميتافيزيكية في جعل معتنقيها يعتقدون امتلاكهم لناصية «الحقيقة المطلقة»، إنتاج أصول عرقية، ثقافية و روحية تحدوها رغبة جامحة في السيطرة و التفوق على غير المسيحيين، خلق شعور موحد للهوية الفكرية، و إظهار الغرب في صورة أرقى أشكال الوعي، فيما يظل الآخرون يدورون في حلقة مفرغة. و عليه، فإن هيجل و غيره من المستشرقين باع طويلاً في تعميق و تثبيت صورة التمرکز الغربي المبني على أساس التفاوت بين الغربي الأسمى و الأرفع شأناً عرقياً، دينياً، ثقافياً... و بقية العالم الأدنى منزلة، مؤكدين على محورية الغرب حول ذاته⁽²¹⁾، مستبعدة بذلك كل المصادر الدينية غير المسيحية.

ج - التمرکز الثقافي : تنطوي كل ثقافة على درجة معينة من درجات التمرکز تشعر من خلالها بالتميز عن الثقافات الأخرى، فتضع نفسها في مرتبة أسمى مقارنة بغيرها. بيد أن هذا التمرکز يظل بسيطاً قياساً بنزعة التمرکز الغربي حول الذات أو الآنية. ففي إطار تأسيسه لذاته كمحور للعالم و كمعيار لتطوره ومركزه، ينكر الغرب مفهوم النسبية الثقافية التي تفضي إلى ضرورة احترام الفوارق الثقافية السائدة بين الشعوب والأمم، وهذا ما يعرف بمفهوم المثاقفة في إطار حدود الهيمنة⁽²²⁾.

تجاوزت النزعة الغربية السائدة حالياً المعنى البسيط للتمرکز نحو التمرکز بالمعنى المعقد الأكثر تطرفاً الذي يجعل من

الحاجة إلى تفسير ذاته وتقديمه للآخرين على أنها عملية تكون ذاتية، حيثما وصل الرجل الأبيض كان يحمل معه انتماء عرقيا، روحيا، وحضاريا، يصوغه في مرتبة أعلى بكثير من أولئك الذين يخترق سكون انتماءهم الجنسي، الديني والثقافي⁽³⁴⁾. ولأن الآخرين البرابرة لا ينتمون إلى الأنا الغربي الحضاري؛ بحكم الأميال الفاصلة بين النظام والفوضى وبين المدنية والطبيعة، وبما أن روما القديمة حققت انسجامها ومبرر وجودها من خلال تعارضها مع برابرة عصرها، فعلى روما الجديدة (واشنطن) تحمل مسؤولية نشر الحضارة الغربية -على الطريقة الأمريكية- في المناطق الجنوبية المحرومة من مزايا الصرح الحضاري العالمي، وأن تظل على أهبة الاستعداد لمواجهة أخطار الجنوب التي تعترض سبيلها أو قد تشكل خطرا على كيانها⁽³⁵⁾.

هذا ما يفسر الحملة الأمريكية المزدوجة على الجنوب المتمثلة في العمل على نشر مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان ومكافحة ما يعرف بالإرهاب الدولي. فالذين يقفون وراء أحداث 11 سبتمبر 2001 التي استهدفت رموز الحضارة الغربية العالمية والذين يقومون بالاعتداء على المصالح الغربية-الأمريكية الحيوية عبر أنحاء العالم هم برابرة وهمجيين قبل أن يكونوا إرهابيين.

على الرغم من أن ظاهرة الاعتماد المتبادل التي فرضت نفسها في عالم أختزل في قرية صغير تقتضي حتمية التفاعل الإيجابي بين الشمال والجنوب، بحكم حاجة كل طرف إلى الآخر، إلا أن الأنا الغربي (المركز) لا زال يمارس -على حد تعبير الدكتور محمد سعدي- أيديولوجية إقصائية إزاء الآخرين (أشباه الأطراف) ازدادت حدتها عقب هجمات سبتمبر/أيلول الأسود، اتقاء لشر شعوب الجنوب المتوحشة والمتناحرة، من أجل ضمان استمرار الأمن والاستقرار والرفاهية لشعوب الشمال الغنية المتحضرة⁽³⁶⁾. فالغرب ما فتئ ينصح رعاياه بعدم التنقل إلى مناطق الجنوب المضطربة، على غرار ما فعلته فرنسا عندما طالب المناطق باسم خارجيتها بارنار فاليريو رعايا بلاده بعدم السفر إلى الجزائر «الملتبهة» التي توجد ضمن الموقع البرتغالي، غداة أحداث الشغب التي شهدتها الأخيرة مع مطلع عام 2011 على خلفية غلاء المعيشة⁽³⁷⁾. لهذا الغرض، يعتمد الأنا الغربي في تعامله مع الآخر الجنوبي على إستراتيجية التهميش، الإقصاء وإذكاء روح الفتنة (سياسة فرق تسود)، من خلال خلق مناطق عازلة فاصلة بين الشمال والجنوب أطلق عليها كريستوف روفان اسم «الليمس»⁽³⁸⁾ (Limes) وهي عبارة عن وحدات سياسية عازلة، يجري توظيفها لاحتواء وامتصاص التوترات والاضطرابات أو بالأحرى الأخطار الجديدة الوافدة من الجنوب.

يتوجب على مناطق «الليمس» المتمثلة في المكسيك وكوبا بالنسبة لقارة أمريكا وبلدان المغرب العربي بالنسبة لإفريقيا، وتركيا، إيران، الصين، آسيا الوسطى والقوقاز بالنسبة لآسيا

تدعي سمو/علو الذات الغربية واحتلالها قمة الهرم الكوني والذي لا يمثل سوى نقطة في الأفق لكنه يسعى إلى اجتياح الأفق بأكمله⁽²⁸⁾. فلا غرابة إذن في سعي الغرب و على رأسه أمريكا مع نهاية الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة إلى هندسة و تثبيت نظام دولي جديد قائم على الأحادية القطبية.

يشبه جون كريسوف روفان في كتابه «الإمبراطورية والبرابرة الجدد» الوضع الدولي السائد ما بعد الحرب الباردة بنضيرة المائل في العصر الروماني، لاسيما بعد انتصار الإمبراطورية الرومانية في حروبها ضد القرطاجيين خلال القرن الثاني قبل الميلاد. فالإمبراطورية الأمريكية أضحت اليوم بعد انتصارها التاريخي على الاتحاد السوفياتي (سابقا) تتبوأ نفس المنزلة التي كانت تحتلها الإمبراطورية الرومانية بالأمس البعيد: إذا كانت روما تجسد السلم والاستقرار، تتميز بوحدة السلطة والثقافة و تتقيد بالقانون وتجسد العدالة (إمبراطورية قانونية) عكس البرابرة الذين كانوا مشتتين، مولعين بالقوة والعنف و لا يفكرون إلا في الحروب⁽²⁹⁾، فإن واشنطن باعتبارها الوريث الشرعي لروما⁽³⁰⁾ و من ورائها الغرب الرأسمالي أصبحت حاليا هي الأخرى مصدرا للاستقرار والأمن، سيادة القانون والإشعاع الحضاري العالمي، في حين ما زال الآخرون (بقية العالم) يعانون من مآسي الأصولية المتطرفة، الصراعات، المجاعة، الأوبئة... تحت نير أنظمة استبدادية فاسدة⁽³¹⁾. بمعنى التأكيد على أن العالم أضحي منقسما إلى عالمين: الشمال «المتحضر» بقيادة أمريكا والجنوب «المتخلف» الذي يأوي البرابرة.

من حيث الشكل، تبدو الولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي الجديد باعتبارها تمثل المركز الرئيسي المؤثر في العلاقات الدولية والقطب الأوحده المهيمن على حركة التفاعل الدولي بمثابة «الشمس» في «النظام الشمسي»⁽³²⁾. أما الدول الكبرى (الأطراف) فهي تشبه «السيارات» الرئيسية المحيطة «بالشمس». في حين أن بقية الدول الأخرى (أطراف الأطراف) فهي بمنزلة «الأجرام و التوابع» المرافقة لبعض «السيارات» في «النظام الشمسي» ككل⁽³³⁾. فالمكانة التي تحتلها أمريكا في النظام الدولي الجديد هي بمثابة المكانة التي تحتلها «الشمس» في «النظام الشمسي». فعلى الرغم بروز مراكز قوى جديدة في العالم، يبقى الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية مرشحا للهيمنة على العالم، لكن هيمنة بشكل جديد وفي إطار تفاعلات مختلفة مع الآخرين، والعولمة ليست في نهاية الأمر سوى أداة لتوحيد الكوكب تحت قيادة الغرب.

5- أثر البرديغم على السلوك الغربي-الأمريكي الخارجي؛

ظهر الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية مع مطلع الألفية الثالثة الطرف المهيمن على العالم في صورة مباشر يحمل رسالة حضارية ذات غاية نبيلة/أخلاقية ظاهريا، لكنها في الواقع ذات أبعاد إستراتيجية تتمثل في فتح العالم وإخضاعه بواسطة الانتشار و التمدد التدريجي نحو المناطق التي لم يكن باستطاعته بلوغها في ظل الحرب الباردة، الأمر الذي يتطلب

ما دام أن المسافة الأمنية تحول حتى الآن دون انتقال عدوى العوالم البربرية إلى العوالم الحضارية، فإنه يتعين على أهل الشمال «المتحضر» ترك أهل الجنوب «المتوحش» يواجهون مصيرهم المشؤوم بأنفسهم. فموت الآلاف من السكان الأصليين للعوالم البربرية؛ بسبب النزاعات العرقية أو الدينية أو الأوبئة يشكل اللاحث بالنسبة للدوائر السياسية الغربية التي غالباً ما تكتفي في تعاطيها مع الاضطرابات الكبيرة في الجنوب «بدبلوماسية الحوامة» - على حد تعبير كريستوف روفان - من خلال العمل على إجلاء رعاياها خوفاً على حياتهم، مانحة الرأي العام الغربي غير المكتث فرجةً مسلية مجانية على صور ضحايا العنف والأوبئة⁽⁴³⁾ على غرار المجازر الفظيعة برواندا التي حدثت عام 1994 والتي ذهب ضحيتها حوالي مليون رواندي أمام لامبالاة العواصم الغربية⁽⁴⁴⁾ ويبدو أن الرئيس الأميركي الأسبق كلينتون ومعه رئيس الوزراء البريطاني الأسبق «بلير»، أظهر استعداداً لتجاهل الفضائع التي ارتكبتها متمردو التوتسي ضد المدنيين...⁽⁴⁴⁾.

إن اعتقاد الغرب المهتم بالآتي أكثر من اهتمامه بالحال بأن التوازن الديمغرافي والقيمي تالياً بين الأنا الغربي «المتقدم» و الآخر الجنوبي «الهمجي» آيل لا محال إلى الاختلال لصالح الطرف الثاني على حساب الأول، الذي أضحى ككيان حضاري رائد مهدداً بكتل بشرية زاحفة نحو «جنة» الشمال هروباً من «جحيم الجنوب» في إطار ما يعرف بالهجرة غير الشرعية التي ستشكل - حسب الكاتب الألماني كريستوفر هاين (Hein.C) خطراً حقيقياً على الحضارة الغربية⁽⁴⁵⁾ لقد بدأت تعلنون الحرب علينا... أن عالمكم هو الذي غزا عالمنا وإذا نحن لم نوفر الحماية لعالمنا هذا... الغالي على أنفسنا والذي... لا نتخلى عنه، فإنه سوف يتداعى إلى الهوة السحيقة لعالمكم الثالث. إننا مضطرون إلى أن نقفل دونكم أبوابنا وبيوتنا - التي تبدو لكم قصوراً - لنصعدكم عنها فعالماً إذا امتزج بعالمكم تردى وسقط إلى الدرك الأسفل⁽⁴⁵⁾.

بحكم أن حياة الإنسان العاشر لا قيمة لها قياساً بنظيره الغربي، وبما أن الهدف الأسمى يقتضي الدفاع عن نمط الحياة الغربية من شراسة البربري، وقصد وضع حد أو على الأقل التقليل من حجم تدفق الهجرة نحو الشمال ابتغاء تحقيق التوازن الديمغرافي، فلا بد على المركز - حسب كريستوف روفان - أن يترك الطبيعة وشأنها في المناطق المنسية (أشباه الأطراف) «ما دام أن الإنسان قد فشل في جهوده لمراقبة الديمغرافيا، لماذا لا نترك... الطبيعة [النزاعات، المجاعة، الكوارث، الأوبئة...] تفعل فعلتها... ستتكفل بالقضاء على الفائض الزائد من السكان... هي بصدد التحول إلى الضابط الأساسي للنمو السكاني. فهي تكتسح الشرائح الأكثر شباباً... في الواقع نحن نتحرك مثل الرومان أمام تهديد هجومات البرابرة⁽⁴⁶⁾». قد نصيح نفس الهاجس عبر عنه كل من هنري كيسنجر⁽⁴⁷⁾ قد نصيح عرضة لهرات جماعية كالتى حصلت في أواخر الإمبراطورية الرومانية⁽⁴⁸⁾، و جون كلود غيبو (J.C.Guillebaud) (الشبح

باعتبارها خطوط التماس بين الأنا الشمالي و الآخر الجنوبي أن تشكل - وفقاً للاستراتيجيات الغربية الأمريكية - مناطق استقرار تفصل العالمين⁽³⁹⁾ وتحول دون انتقال عدوى مآسي وتوترات الجنوب نحو الشمال، من خلال ضمان تحكمها في حركية مجتمعاتها. ولأن «الليمس» المتوسطي - على سبيل المثال لا الحصر - الفاصل بين الأنا الأوروبي و الآخر الإفريقي يعتبر أحد الأحزمة الأمنية الأكثر حدة من حيث انعدام الأمن والاستقرار، فقد أضحى محل معاملة استثنائية واهتمام عسكري، اقتصادي و دبلوماسي غير مسبوق، يتجلى في عدة مشاريع: الشراكة الأورو-متوسطية، الشرق الأوسط الكبير، والاتحاد من أجل المتوسط و الهادفة كلها إلى ضمان أمن واستقرار ومصالح الشمال الحيوية، والحيلولة دون اجتياح الأفارقة «البرابرة» للشمال المتحضر و هو ما يعرف بمكافحة الهجرة غير الشرعية. فلا غرابة أن يحظى الأمن الاجتماعي بأهمية بالغة في مجال العلاقة بين المركز وأشباه الأطراف خلال فترة ما بعد الحرب الباردة: ((الأرجح أن يصبح الأمن الاجتماعي مسألة أكثر أهمية عما كان عليه الحال زمن الحرب الباردة... ويتعلق الأمر بالأخطار ونقاط الضعف التي تؤثر في أنماط هوية المجتمعات وثقافتها⁽⁴⁰⁾)).

لقد أضحت الهجرة غير الشرعية من الجنوب إلى الشمال، لاسيما من الضفة الجنوبية للمتوسط نحو ضفته الشمالية تشكل - من وجهة نظر الدوائر الغربية - خطراً على كيان دول المركز؛ لأنها تمثل طابوراً خامساً و تهدد تالياً هويتها الثقافية و الحضارية. لذلك يتوقع كل من باري بوزان و صمويل هنتغتون بأن التصادم الحضاري سيكون بين الغرب و الإسلام؛ وذلك بسبب التعارض بين القيم الغربية و نظيرتها الإسلامية، الصراع التاريخي بين المسيحية و الإسلام، غير المسلم المتخلف من الغربي المتقدم، الجوار الجغرافي... الخ⁽⁴¹⁾ فإذا اجتمع خطر الهجرة وخطر تصادم الثقافات أصبح من السهل وضع تصور لنوع من الحرب الباردة الاجتماعية بين المركز و جزء من الأطراف على الأقل، ولاسيما بين الغرب و الإسلام⁽⁴¹⁾.

فضلاً عن خطوط المواجهة السالفة الذكر و التي توجد في احتكاك مباشر وتناقض حاد مع الشمال تعكسها بجلاء - على سبيل المثال - طبيعة العلاقات الجزائرية الفرنسية منذ استقلال الأولى عن الثانية (1962) و العلاقات الأمريكية الإيرانية منذ سقوط الشاه (1979)، هناك المناطق العميقة الواقعة ما وراء الحدود الشمالية التي تتجسد فيها كل مظاهر التخلف، الفوضى والإفلاس على جميع الأصعدة على غرار ليبيريا، أثيوبيا، الصومال، جنوب السودان... بالنسبة لإفريقيا، و أفغانستان، تايلاند، وكمبوديا بالنسبة لآسيا و بعض مناطق أمريكا اللاتينية و التي يمكن أن نطلق عليها الأراضي المتجاهلة/المنسية و ليس المجهولة⁽⁴²⁾ - على حد تعبير الدكتور محمد سعدي -؛ لأنه لم تعد هناك أراضي مجهولة في ظل وجود العشرات من الأقمار الصناعية تسبح في الفضاء وترصد حركة كل كبيرة أو صغيرة على سطح الأرض.

الذي يقض مضاجع الحداثة الغربية... يمكن في اجتياح المهاجرين الذي سيفجر مجتمعاتنا... ويمحي هويتنا...⁽⁴⁷⁾.

ما يلاحظ على تعاطي الأنا الغربي في سلوكه إزاء الآخر الجنوبي هو اعتماده على الانتقائية: اقتصادياً، يجري التركيز على مساعدة الوحدات السياسية المشكلة للأحزمة الأمنية للشمال على غرار دول المغرب العربي؛ بهدف ضمان تأمين المسافة الفاصلة بين الشمال والجنوب، سياسياً، تجري مهادنة وتدعيم النخب السياسية طالما أنها قادرة على تجسيد جملة من التوازنات الجهوية، عسكرياً، يجري التعامل بصرامة مع الاضطرابات الحادة التي قد تكون المناطق العازلة مسرحاً لها في حالة خروجها عن مجال السيطرة، قد تصل إلى درجة التدخل العسكري، في حين يجري التعاطي مع المناطق المنسية الواقعة ما وراء الأحزمة الأمنية بمنطق عدم الاكتراث مهما بلغ حجم الأحداث ودرجة خطورتها، طالما أنها نائية ولا تشكل أي خطر مباشر على أهل الشمال⁽⁴⁸⁾.

الخاتمة

يمكن القول في الأخير بأن برديغم المركزية الغربية (نحن و الآخرون) ليس سوى انعكاس للوضع الدولي الراهن المتميز بانتقال معادلة الصراع الخفي أو الحرب الباردة من المستوى الأفقي إلى المستوى العمودي، أي الانتقال من صراع شرق/غرب السائد خلال الحرب الباردة إلى الصراع شمال/جنوب السائد حالياً، أو بالأحرى صراع بين الأنا الغربي «المتحضر» والآخر الجنوبي «الهمجي» الذي أضحي بشكل مصدراً للأخطار الجديدة العابرة للحدود (الانفجار الديمغرافي، الهجرة غير الشرعية، الإرهاب الدولي، المخدرات...) المحدقة بالسلم والأمن العالمين على المديين المتوسط والبعيد.

الهوامش

- (1)، (2) - محمد سيف حيدر النقيذ، نظرية «نهاية التاريخ» وموقعها في إطار توجهات السياسة الأمريكية في ظل النظام العالمي الجديد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبوظبي/الإمارات العربية المتحدة، 2007، ص 07.
- (3) - محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، أطروحة دكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت/لبنان، 2006، ص 49.
- (4)، (5) - زايد عبيد الله مصباح، السياسة الدولية بين النظرية والممارسة، دار الرواد، طرابلس/ليبيا، 2002، ص 48، 49.
- (6) - يجري أحياناً استخدام المدخل/الاقترب من طرف البعض كمترادف لمفاهيم المنهج، النظرية و البرديغم . وفي الواقع فإن كان يمكن قبول ذلك من الناحية الإجرائية وعلى نطاق ضيق ومحدود، فإنه من الناحية النظرية و التحليلية ثمة اختلاف بين المدخل/الاقترب وهذه المفاهيم فالمدخل/الاقترب هو جزء من المنهجية ولكنه لا يصل إلى مستوى المنهج أو النظرية. فالمدخل/الاقترب هو -حسب «فان ديكي»- «كل معيار نتبناه في بحثنا لانتقاء المعطيات أو اختيار الأسئلة التي نريد معالجتها».

وهو وفقاً لما يراه البعض أسلوب/طريقة للتقرب من الظاهرة أو المشكلة المعنية بالبحث والتي سبق اكتشافها وتحديدها، وذلك بهدف الإحاطة بها وتفسيرها تبعاً للعامل أو المتغير الذي يلعب الدور الحاسم -من وجهة نظر الباحث- في حركة وتشكيل الظاهرة موضوع الدراسة: فإذا كان العامل/المتغير سياسياً كان المدخل/الاقترب السياسي (Political Approach)، وإذا كان العامل/المتغير قانونياً كان المدخل/الاقترب القانوني (Légal Approach)، وإذا كان العامل/المتغير مؤسسياً كان المدخل/الاقترب المؤسسي (Institutionnel Approach) وهكذا تتعدد المدخلات/الاقتربات بتعدد الزوايا التي ينظر منها كل باحث للظاهرة، وتبعاً لخلفيته الفكرية والعرفية والفلسفية.

(7) - محمد عابد الجابري، مسألة الهوية العربية والإسلام... والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة، بيروت/لبنان، 2006، ص 90.

(8) - ناظم عبد الواحد الجاسور، المرجعية الفكرية للخطاب السياسي-الاستراتيجي الأمريكي ما بعد الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، 2001 دار النهضة العربية، بيروت/لبنان، 2006، ص 17.

(9) - قراءة في كتاب «الغرب والآخرون: قصة تفوق» (03/10/2004)، <http://www.aljazeera.net>

(10) - ناظم عبد الواحد الجاسور، مرجع سابق، ص 20.

(11) - تري المؤرخة الفرنسية صوفي بيسيس (Bessis Sophie) بأن مفهوم الغرب الذي فرض نفسه كتعبير جيوسياسي، بدأ يفقد سحره، وتزعزع أيضاً استخدام الاقتصاديين والمختصين في التنمية مصطلح «الشمال» الذي لا يتحدد وفقاً لمعايير جغرافية، وهنا «التعكير» الذي أحل بالغرب، سببه ولوج اليابان ودول جنوب شرق آسيا عالم التكنولوجيا المتقدمة. فقد أدت المعجزة الاقتصادية لليابان والنمو الآسيوي إلى نوع من القطيعة المفهومية. كما حل محور شمال جنوب - بحلة جديدة - الاقتصادي محل محور شرق-غرب الجيوستراتيجي والأيدولوجي. لكن الالتباس الجيوسياسي يمس الشمال والجنوب على السواء: دول تقع في الشمال أصبحت تنتمي إلى الجنوب، ودول جنوبية أصبحت تنتمي إلى الشمال. المعيار الأساسي هو الثراء، ومستوى التقدم الصناعي والتقني وليس الجغرافيا.

- (12) - ناظم عبد الواحد الجاسور، نفس المرجع، ص 17، 18.
- (13) - محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر: العولمة-صراع الحضارات-العودة إلى الأخلاق-التسامح الديمقراطي و نظام القين-الفلسفة والمدينة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة، بيروت/لبنان، 2007، ص 87، 88.
- (14) - محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، نفس المرجع، ص 88.
- (15)، (16) - محمد عابد الجابري، مسألة الهوية العربية والإسلام... والغرب، مرجع سابق، ص 122، 123.
- (17) - ناظم عبد الواحد الجاسور، مرجع سابق، ص 21.
- (18) - الحسن حما، المركزية الغربية: أسئلة في الدعائم الفلسفية و www.faycal316.yahoo.com 23/11/2010
- (19) - ناظم عبد الواحد الجاسور، مرجع سابق، ص 21، 22.
- (20) - محمد عابد الجابري، مسألة الهوية العربية والإسلام، مرجع سابق، ص 131.
- (21) - الحسن حما، مرجع سبق ذكره.

- (22)، (23) - ناظم عبد الواحد الجاسور، مرجع سابق، ص 24.
- (24) - جريدة الشروق، العدد 3161، الصادر في 02 جانفي 2011.
- (25) - السيد يسين، المركزية الغربية و تجلياتها المعاصرة، جريدة الأهرام المصرية، العدد 41891، الصادر في 16/08/2001: www.ahram.org.eg
- (26) - جريدة الخبر، العدد 6187، الصادر في 26/11/2010، ص 21.
- (27)، (28) - ناظم عبد الواحد الجاسور، مرجع سابق، ص ص 16، 22.
- (29)، (31) - محمد سعدي، مرجع سابق، ص 70.
- (30) - محمد عابد الجابري، مسألة الهوية العروبة و الإسلام... و الغرب، مرجع سابق، ص 135.
- (32) - يتكون النظام الشمسي في الكون من كوكب رئيسي المتمثل في الشمس، وتسبح بقربها سيارات كبيرة وأجرام مختلفة لكنها أقل شأنًا منها، مثل التوابع المرافقة لبعض السيارات. فالنظام الشمسي مرتبط كليًا بالشمس التي تمثل الكوكب الأضخم و الوحيد الذي يضيء من ذاته أمام بقية الأعضاء الأخرى التي تستمد ضوءها من الشمس -على غرار القمر- و تعكسه.
- (33) - زايد عبيد الله مصباح، السياسة الدوائية بين النظرية و الممارسة، دار الرواد، ليبيا، 2002، ص 398.
- (34) - الحسن حما، مرجع سبق ذكره.
- (35)، (36) - محمد سعدي، مرجع سابق، ص 71.
- (37) - جريدة الخبر، العدد 6228، الصادر في 07/01/2011، ص 02.
- (38) - هي عبارة عن أحزمة أمنية دفاعية مكونة من خنادق وجدران و معازل كانت تطوق الإمبراطورية الرومانية لصد هجمات البرابرة المتمثلة في الشعوب الجرمانية، السلافية و الأمازيغية.
- (39) - محمد سعدي، مرجع سابق، ص 71.
- (40)، (41) - محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مرجع سابق، ص 90.
- (42)، (43) - محمد سعدي، مرجع سابق، ص ص 71، 72.
- (44) - جريدة الاتحاد الإماراتية، الصادرة في 30/09/2010 <http://www.alittihad.ae>
- (45)، (46)، (47)، (48) - محمد سعدي، مرجع سابق، ص ص 75-72.